معبد دندره

كان يقوم هذا المعبد فى العصور القديمة فى مدينة يطلق عليها فى الوثائق الرسمية اسم Ant ، لكنها كانت تعرف أيضاً لدى عامة الناس باسم Tantarer ، وهو ما اشتق منه الاسم الأغريقى Tentyra والاسم الحديث دندره . وقد كانت هذه المدينة عاصمة المديرية السادسة فى مصر العليا ، تحدها من الشمال مديرية Diospolis Parva ومن الجنوب مديرية طيبة . وقد كانت لدندرة إلهة حامية تدعى هاتور ، كانت تتمتع بمكانة عظمى فى مصر القديمة . وتمثل الأساطير القديمة هذه الألهة أحياناً فى شكل بقرة سماوية ، وأحيانا فى شكل الألهة التى تشرف على ميلاد الأطفال ، وأحيانا فى شكل الألهة الفاتنة من بلاد پنت . أما فى دندرة فانها تظهر فى شكل ألهة الحب الأمى والجمال والنور والبشر ، ويرمز إليها عادة بامرأة تحمل فوق رأسها قرنى بقرة يضمان بينهما قرص الشمس .

ويرجع أقدم معابد هذه الألهة فى دندرة إلى عهد الملك خوفو بانى الهرم الأكبر ، ومن ثم أخذ الفراعنة المختلفون يتعهدون هذا المعبد بالترميم والأصلاح كلما اقتضى الأمر ذلك ، إلى أن مال عليه الدهر وتهدم فى أواخر أيام البطالسة ، وأصبح غير خليق بعبادة هذه الألهة المحبوبة . ولما كان البطالسة منذ انتعاش الروح القومية بين المصريين ، نتيجة للدور الذى لعبوه فى معركة رفح فى عام ٢١٧ ق.م. ، قد درجوا على اتباع سياسة جديدة إزاء المصريين وأخذوا يستدرون عطفهم بشتى الطرق التى كان من بينها تشييد معابد كبرى للآلهة الوطنية ، فان أحد البطالسة الأواخر ، ولعله كان بطليموس الثامن (سوتر الثانى) ، أمر فى أواخر القرن الثانى ق.م . بازاحة بناء المعبد القديم وإقامة معبد آخر جديد على أنقاضه ، لم يتم إلا حوالى منتصف القرن الأول بعد الميلاد ، فى عهد أباطرة الرومان . ويعتبر هذا المعبد من أروع ما أخرجه

فن المعمار فى عصر البطالسة والرومان وإن كان يشارك تلك المعابد فى الخواص المميزة لها .

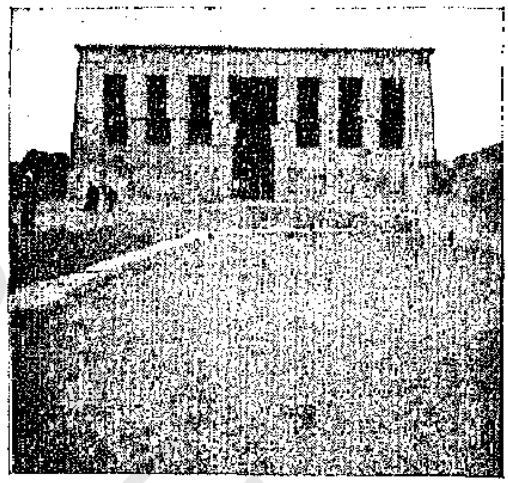

معبد دندرة

يقوم هذا المعبد اليوم على حافة الصحراء الغربية فى مواجهة قنا ويمتد حول البناء كله جدار خارجى ، يتوسطه فى الناحية الشمالية باب المعبد ، الذى إذا ما اجتزناه وجدنا أنفسنا فى فناء لاسقف له يقع وراءه بهو الأعمدة الكبير وهو عبارة عن قاعة كبرى يحمل سقفها أربعة وعشرين عموداً ضخما ، رتبت فى أربع صفوف يكون الصف الأول منها حائط البهو الخارجى ، إذ يربط أعمدة هذا الصف بعضها ببعض حوائط قصيرة تشبه الستائر ، وتصل إلى نحو منتصف ارتفاع الأعمدة التى تحمل إفريزاً ضخما يزينه قرص شمس ذو جناحين ، ويحمل نقشاً ينبئنا بأن بناء البهو قد تم فى العام العشرين من حكم الامبراطور تيبريس ، وبأن أهالى المدينة وعاصمتها أهدوه باسم الامبراطور إلى الآلهة Aphrodite (أى هاتور) وأقرانها من الآلهة . ويبلغ طول الأعمدة نحواً من خمسين قدما ، ومحيطها خمسة وثلاثين قدما . وتعلوها رءوس أعمدة من النوع المعروف برءوس أعمدة هاتور ، كل رأس منها عبارة عن مكعب ضخم يزين كل وجه من وجوهه الأربعة وجه سيدة لها أذنا بقرة . ويزين الأعمدة والجدران مناظر دينية ونقوش ورموز مرتبة درجات الواحدة فوق الأخرى ، فى كثرة جعلتها تزاحم بعضها بعضاً ، لكن المناظر لاتخلو من الطرافة إذ أننا نتبين فيها زيارة ملكية إلى المعبد وإهداء ضيعات إلى الآلهة . أما السقف فكله مزين بمناظر فلكية .

ويؤدى البهو الكبير إلى بهو أعمدة صغير يحمل سقفه ستة أعمدة رءوسها من النوع المعروف برءوس الزهور أو الرءوس المركبة (foliage or composite) تشبه كل رأس منها ناقوسا يزين جوانبه عدد من الأزهار وأوراق نباتات مختلفة ، رتبت فى أوضاع متباينة ، ويقوم فوق الناقوس بمثابة إفريز رأس من رءوس هاتور التى سبق وصفها . ويزين أعمدة هذا البهو وجدرانه مناظر تتصل ببناء المعبد ، فعلى أحد جانبى البهو نرى الملك وقد خرج من قصره يشق الأرض ويصنع الطوب ويضع الحجر الأول ويهدى المعبد إلى الآلهة ، وأخيراً يفتتح الشعائر الدينية بحرق البخور . وعلى الجانب الآخر نرى مشهد إهداء ثان ، يقوم به الملك بعد وصوله من القصر فى موكب ملكى حافل ، فنراه يقدم هدايا من المعادن الثمينة إلى الآلهة وينثر العطور على المعبد ويهدى البناء إلى هاتور وحورس . ويتصل بكل جانب من جانبى هذا البهو ثلاث غرف كانت تستخدم لتخزين حاجات المعبد والنذور .

ويؤدى هذا البهو إلى قاعتين صغيرتين إحداهما وراء الأخرى تسمى الأولى « قاعة المذبح » حيث كانت تقدم القرابين ، ويغطى جدرانها مناظر تمثل الملك وهو يقدم القرابين إلى هاتور وابنها . وإلى يمين هذه القاعة ويسارها توجد السلالم التى تصل إلى سطح المعبد . وتسمى القاعة الثانية « قاعة التسع المقدسة » ؛ وهى لا تزيد عن ممر بسيط يغطى جدرانه مناظر تشير إلى أن هاتور ، وقد تجسم فيها كل الآلهة الأخرى ، أصبحت وحدها منبع الحياة وإلى جانبى كل من هاتين القاعتين توجد غرفتان . وتؤدى القاعة الثانية إلى قدس الأقداس ، حيث كانت تحفظ المركب المقدسة ويوضع تمثال الآلهة الذى لايدانيه تمثال آخر فى قداسته . وكانت تبقى هذه الغرفة مغلقة مختومة لاتكسر أختامها ولا يفتح بابها إلا فى الأعياد الكبرى ، ولا يسمح بدخولها إلا للكاهن الأكبر والفرعون الذى كان يخول له مركزه أن يقوم بمهام الكاهن الأكبر فى أى معبد . وترينا مناظر هذه الغرفة زيارة الفرعون للآلهة .

ويحيط بهذه القاعة المقدسة ممر يؤدى إلى إحدى عشرة غرفة صغيرة بجانب بعضها بعضاً ، كان لكل منها اسم خاص مثل « غرفة اللهب » و « عرش رع » و « اتحاد الوجهين » و « غرفة الميلاد » و « غرفة البعث » الخ لكنه قد أصبح من المتعذر علينا الآن استبانة الغرض من هذه الغرف فقد فقدت أسماؤها الدلالة التى توحى بها .

وتزين جدران السلالم التى تؤدى إلى سطح المعبد مناظر موكب الإلهة فى غدوه إلى السطح ورواحه ، عندما كانت تحمل فى جمع حاشد تحفها مظاهر العظمة والجلال ، لتلقى نظرة على ممتلكاتها العظيمة . فنرى الفرعون على رأس صف طويل من الكهنة ؛ كما نرى رمزاً لقدس الأقداس محمولا على أعناق ثمانية من عمالق القساوسة . وعند مسافات معينة كان الموكب يقف ويقوم الفرعون بحرق البخور أمام تمثال الإلهة . وسطح المعبد منبسط وعلى ارتفاعين ، لأن البهو الكبير أعلى من بقية أجزاء المعبد الأخرى ، التى يقوم على سطحها عدد من الغرف المقدسة الصغيرة ، أكبرها فى الركن الجنوبى الغربى . ومن أهم خواص هذا المعبد كثرة عدد الغرف السرية أو الأقبية ، التى بنيت فى سمك الجدران تحت مستوى الأرض ، وغطيت مداخلها بألواح صخرية متحركة . وكل هذه الأقبية منقوشة وملونة . وكان بعضها لإقامة الشعائر السرية للإلهة ، والبعض الآخر لحفظ كنوز المعبد التى لا بد أنها كانت ذات قيمة كبرى . ويزين جدران المعبد من الخارج أشكال منحوتة تمثل عدداً من الآلهة ومناظر عبادتهم ، تميز بينها كليوباترة فى شكل الإلهة إيزيس وابنها قيصرون يتعبدان إلى الآلهة ، وإلى الجنوب الغربى من المعبد تقوم البحيرة المقدسة وهى مستطيلة متسعة فى كل ركن من أركانها سلالم تؤدى إلى صفحة الماء .

إن هذا المعبد كغيره من معابد البطالسة والرومان ، رغم تأخر عهدها وإنشائها بعد زوال دولة الفراعنة وانتشار الفن الأغريقى فى مصر ، لا يختلف

فى جوهره عن معابد الفراعنة ، ولا نلمس فيه أى أثر للفن الأغريقى فهو مصرى خالص فى تخطيطه وعمارته ونقوشه . فالجدران القصيرة التى تشبه الستائر فى البهو الكبير ، لم تكن بدعة استحدثها البطالسة ، فهى معروفة فى معابد الدولة الحديثة ، فى الكرنك ومدينة هابو وكذلك فى معابد الأسرة الثلاثين فى مدينة هابو وفيله . كما أن رءوس الأعمدة المركبة — فى اعتقادى على الأقل — مصرية صميمة وثمرة النهضة الفنية التى ظهرت فى مصر فى العصر الصاوى ، أى فى القرنين السابع والسادس ق . م . وقد كانت تلك النهضة ترمى إلى احياء التقاليد القديمة التى أخرجت الكثير من آيات الفن المصرى . نحن نعرف أن عمود البردى وعمود اللوتس ، يرجعان فى أصلهما إلى القوائم البدائية التى كان يحمل عليها السقف وتزين رءوسها بالأزهار ؛ لكن لما كان الفنان فى العصر الصاوى يفوق بطبيعة الحال فنان الدولة القديمة فى التقدم ورقة الشعور ، فانه لم يرجع القهقرى إلى تلك القوائم البدائية ، انما اتخذ نواة عموده من عامود البردى المزدهر (Campaniform) ذى الرأس المفتوح ، وزينه كما فعل أجداده من قبل بباقة من الزهور . ولكنها كانت تتألف من عدة أنواع بدلا من نوع واحد مثل اللوتس أو البردى كما فعل فنانو الدولة القديمة . إن الأنواع المتعددة المعقدة لرءوس العامود الجديد لا يمكن أن تكون نتيجة لخطة واحدة ، بل لابد أنها كانت ثمرة تطور طبيعى طويل ؛ لكن من العسير بل من المحال أن نتتبع الآن أدوار هذا التطور ، نظراً إلى تهدم معابد العصر الصاوى . إن ظهور أنواع هذه الرءوس كاملة فى الأسرة الثلاثين فى معبد Nectanebo II. أى فى أواسط القرن الرابع ، ليحملنا على الاعتقاد بأن تاريخ هذه الرءوس ، يجب أن يرجع إلى عصر سابق للأسرة الثلاثين ؛ وإذا ما محصنا جميع الاعتبارات المختلفة ، وجدنا أن العصر الصاوى أنسب وقت لذلك ، بسبب نهضته الفنية والسلام والرخاء اللذين سادا فيه . وإذا كانت هذه الرءوس فى دور التكوين خلال القرن السابع والسادس ق . م . أى

قبل ظهور العامود الأغريقى الكورنثى بمدة طويلة . وإذا ما تذكرنا أصل الأعمدة المصرية المزدانة بالزهور ، وإذا ما عرفنا أن العناصر التى تتكون منها الرءوس الجديدة مصرية بحته ، فانه يتضح لنا بطلان الزعم الذى يرى فى الرءوس الجديدة أثراً للعامود الأغريقى الكورنثى . وإذا كانت ثمة علاقة بين الاثنين ، فان العكس أقرب إلى الصواب ؛ لأن المصرى كان يزين رءوس أعمدته بالأزهار قبل عهد الاغريق بالأعمدة ؛ كما أن الحلقات (volutes) الجانبية فى الرءوس الكورنثيه ، تحمل شبهاً كبيراً للأطراف المتدلية من أوراق زهرة الايريس ، التى كانت رمز مصر العليا والتى كانت تستعمل فى الزخرفه فى مصر منذ الدولة الوسطى .

ابراهيم نصحى

بعض المراجع :

Weigall = Aguide to the Antiquities of Upper Egypt.
Noshy = The Arts in Ptolemaic Egypt.
Chassinat = Le Temple de Dendara.
Jequier = Les Temples Ptolemaiques et Romains.

obeikandl.com